لأنكِ أغلى من الدنيا

بقلم فردوس صادق

لأنكِ
أغلى من الدنيا

بقلم فردوس صادق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبتُ هذا الكتاب وأنا أقول في نفسي:

لعلّ فتاةً تقرأه فتهتدي... فيكون شفيعي عند الله

نبذة عن المؤلفة

أنا فردوس صادق، كتبتُ هذا الكتاب بقلبٍ مليء بالشوق إلى الله، وقلما يفيض حبا لأخواتي. فإن وجدتِ فيه نورًا، فذلك من فضل ربي. وإن رأيتِ نقصًا، فاعذريني...

هذا هو كتابي الثاني بعد **"الهوية بين القيم والدين"** (وإن فاتكِ قراءته، فها هي فرصتنا الثانية للقاء!).

"لأنكِ أغلى من الدنيا"

ليس كتابًا... بل نداء قلب

ليس خطابًا... بل حوار أختين

عن العفة التي تُحرر، والحياء الذي يرفع، والحجاب الذي يُكرّم.

كتبته قاصرةً (في السابعة عشرة من عمري)

أنشره راشدةً (في الثامنة عشرة من عمري)

لأن الهداية لا تعرف عمرًا،

والحق لا يحتاج إلى سنين...

أنشره اليوم بمناسبة ذكرى ميلادي (السادس من ماي)

كتبتُه كأخت تُحبّ لكِ ما تحبّ لنفسها... فردوس.

مقدمة :

همسة إلى قلبكِ يا ابنة الإسلام

يا ابنة الإسلام...

لا أعلم كيف وصلتِ إلى هنا. لا أعلم إن كنتِ تقرئين هذه السطور في ليلة أرهقكِ فيها التفكير، أم نهارٍ مرّ بكِ كالغيوم الثقيلة...

لا أعلم إن كنتِ تضعين الحجاب اليوم أم لا،

وإن كنتِ قد لبستِه بقرارٍ نابع من داخلك أو فقط لتتجنبي كلام الناس، أو لأنكِ وُلدتِ في بيئة جعلته جزءًا من حياتك...

لكنني أعلم شيئًا واحدًا...

أعلم أن في قلبك شيئًا نقيًا لم يمت. شيئًا صغيرًا، لكنه يضيء في الظلام، كلما أغلقتِ الباب على نفسك وهمستِ: "يا رب، خذ بيدي..."

هل تسمحين لي أن أكون صديقةً لك؟

لا صديقة تُملي عليكِ أو تُحاصركِ بالنصائح الجاهزة، بل صديقة تُمسك بيدك لحظة التوهان، وتقول لكِ بكل صدق:

"أعلم أنكِ تعبتِ. أعلم أنكِ تائهة بين ما يُقال وما تشعرين به. أعلم أن هناك معركة بداخلك لا يراها أحد."

ربما سمعتِ كثيرًا أن الحجاب فرض...

أن التبرج خطيئة...

أن الحياء تاج، وأن الحجاب عبادة، وأنكِ مسؤولة عن كل نظرة...

كل هذا صحيح، لكنه وحده لا يكفي لتنهضي.

لأنكِ لا تحتاجين فقط إلى حكم، بل إلى دفء...

إلى من يقول لكِ:

"أنا أُفهمك، أنا مررتُ بما تمرّين به، وأعلم كيف يشعر قلبكِ الآن."

أنتِ لستِ فتاة سيئة.

أنتِ فقط تعيشين في زمن صعب.

زمن يُزيّن القبيح، ويشوّه الجميل.

زمن جعل من التي تتعرّى رمزًا للقوة، ومن التي تتحجّب صورة للتخلّف.

زمن يُعلّمك أن تكوني "كما يُحب الناس"، لا كما يُحبك الله.

لكن... هل تعلمين؟

كل شيءٍ يتغير في لحظة صدق واحدة.

لحظة تشعرين فيها أنكِ وحدكِ مع الله... لا أحد يراكِ إلا هو، لا أحد يسمعكِ إلا هو...تغلقين كل الأبواب، وتفتحين قلبك فقط لله ، هناك فقط، ستجدين الإجابة.

لحظة تسألين نفسك:

"من أكون؟ ولماذا وُجدت؟ وأي امرأة أريد أن أكون؟"

حينها فقط... تبدأ الرحلة.

هذا الكتاب ليس كتابًا يُخبرك بما تفعلين.

بل كتابٌ يُمسك بيدك، خطوةً خطوة.

يسير معكِ من أول الطريق، من لحظة التردّد، حتى لحظة اليقين.

كتابٌ يتحدث إليكِ كما تتحدث الأم إلى ابنتها في ليلة صافية...

حديثًا فيه الحب، وفيه الألم، وفيه الشوق، وفيه الرجاء...

وفيه وعد:

أنكِ تستطيعين أن تبدئي من جديد، وتعودي كما أرادكِ الله.

فهل تسمحين لقلبكِ أن يستمع؟

فقط استمعي... وسأكون معكِ في كل صفحة.

الفصل الأول :

الحجاب حين نزل من السماء

لنعد قليلا إلى الوراء، قبل نزول الحجاب، حيث كانت المرأة تجلس مع الرجال بدون حجاب وبدون نقاب، وكان اللباس في الغالب غير ساتر، بل كانت النساء يظهرن زينتهن بلا مانع أو حدود، في مجتمع تسيطر عليه الجاهلية بأفكارها الفاسدة ونظرتها الدونية للمرأة. فقد كانت المرأة قبل الإسلام تُعامل كمتاع يباع ويُشترى، تُورَّث مع باقي أموال الميت، ولا تملك من أمرها شيئًا، وكانوا يمنعونها من الإرث، ويحتقرونها وقت الحيض، ويجعلونها في عزلة تامة. بل وبلغ بهم الحال إلى وأد البنات أحياء خشية العار، كما قال تعالى:

{وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: 8-9].

كانت أنواع الزيجات الفاسدة منتشرة، كنكاح الاستبضاع[1]، ونكاح الشَّغَار[2]، ونكاح المتعة، وكان الولد يرث زوجة أبيه ويعتبرها من ممتلكاته. ولم يكن هناك حد للطلاق أو عدد للزوجات، مما جعل المجتمع فاسدًا لا يعرف قيمة المرأة ولا كرامتها.

---

1 مشتقة من "البَضْع" (أي الجماع)، والمقصود بها طلب الحمل فقط، حيث يُسمح لرجلٍ بجماع امرأةٍ بهدف إنجاب ولدٍ دون أي التزامات زوجية أو حقوق شرعية.

2 مأخوذة من "الشَّغَر" (أي النقص أو عدم الكمال)، لأن هذا الزواج يقوم على المقايضة (مثل: "أزوجك أختي مقابل أن تزوجني أختك") بدون مهر، مما يُنقِص حق المرأة.

ثم جاء الإسلام، فرفع من شأن المرأة، وكرمها، وأعطاها حقوقها كاملة. الله سبحانه وتعالى، في رحمته، أراد أن يوجه المرأة المسلمة إلى الطريق الذي يعزز كرامتها ويحفظ مكانتها، فأمرهن أن يغطين أنفسهن في الطاعة والحياء، حيث قال في كتابه العزيز: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}** [الأحزاب: 59]. هذه الآية كانت بداية لمرحلة جديدة في حياة النساء المؤمنات، حيث لم يكن الحجاب مجرد لباس، بل كان رمزًا للعفة والحياء، وكان يمثل التزامًا داخليًا قبل أن يكون مظهرًا خارجيًا.

وفي هذا السياق، نجد أيضًا في سورة الأحزاب: **{وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب}** [الأحزاب: 53]، حيث أظهر الله في هذه الآية كيف أن الحجاب لا يقتصر على ستر الجسد فقط، بل هو جزء من علاقة مبنية على الاحترام والخصوصية. الحجاب هنا يمثل أكثر من مجرد فرض ديني، بل هو شريعة لحماية المرأة من التحديات الاجتماعية التي قد تطرأ عليها.

حينما نعود إلى حديث أم سلمة رضي الله عنها، نجد صورة حية عن استجابة الصحابيات لهذا الوحي. قالت أم سلمة: "لما نزلت **{يدنين عليهن من جلابيبهن}** خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان..."، هذه الصورة تُظهر كيف أن الصحابيات لم

يترددن في تطبيق هذه الآية فور نزولها. خرجت النساء، و رؤوسهن مغطاة بخُمُر سوداء تشبه الغربان في سوادها، في مشهد يعكس سرعة الاستجابة والالتزام. ولم يكن مجرد لباس، بل كان تعبيرًا عن استجابة جادة للوحي الإلهي.

في صبيحة نزول آية الحجاب، لم يكن هناك إلا السواد في نساء الصحابة، كالغربان لا يعرفهن أحد، ولكن هذا السواد لم يكن عبئًا، بل كان استجابة لله ولرسوله. لم يقلن "فلننتظر" أو "فلننتظر حتى نتأكد" أو "ليس لدينا اللباس الآن" أو "ليس لدينا نقود". استجابوا على الفور، فور سماع الوحي. هذه هي استجابة المؤمنين، كما قال الله تعالى: **{يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم}**[الأنفال: 24]. كان إيمانهن عميقًا، يعلمون علم اليقين أن ملك الموت لن يستأذن منهم، وبالتالي لم يكن لديهم وقت للانتظار أو التشكيك.

قبل نزول آية الحجاب، كانت المرأة المسلمة تُظهر حياءها وعفتها في تصرفاتها، ولكن بعد نزول هذه الآية، أصبح الحجاب جزءًا لا يتجزأ من هذه العفة. أصبح الحجاب علامة واضحة على التفريق بين ما هو طاهر وما هو دنيوي، وبين ما هو عفيف وما هو مبتذل. وعندما ارتدت النساء الحجاب، لم يكن الأمر مجرد تكليف ديني، بل كان خيارًا يثبت هويتهن المسلمة، ويعكس رغبتهن العميقة في الحفاظ على العفة والحياء، بعيدًا عن المعايير الاجتماعية التي كانت تفرض عليهن.

الفصل الثاني:

الحجاب عبادة لا عادة

لنبدأ رحلتنا في هذا الفصل بسؤال جوهري يختبئ في زوايا قلوبنا جميعاً: ما الفرق بين من يدّعي الإسلام ومن يعيش الإيمان حقاً؟ إن الفارق يكمن في تلك الهُوة الشاسعة بين مجرد المظهر الخارجي والحقيقة الباطنة، بين القشور واللباب، بين العادة والعبادة. إنه الفرق بين من ترتدي الحجاب لأن المجتمع يفرضه عليها، ومن تلبسه لأن الله أمرها به.

الحجاب في الإسلام ليس مجرد زي، بل هو قبل كل شيء طاعة لله ورسوله. إنه علامة على الإيمان الحي الذي ينبض في القلب قبل أن يظهر على الجسد. تخيّلي معي سيدة تصلي وتصوم، لكنها تتذمر من الحجاب وتعتبره ثقيلاً على نفسها. ثم تصوّري أخرى ترتدي الحجاب بخشوع، وكأنه تاج على رأسها. أليست الثانية هي التي جسّدت معنى العبادة الحقيقية؟

لنتأمل معاً قول الله تعالى: **{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}** [الأحزاب:36]. هذه الآية العظيمة تقطع الطريق على كل من يتعامل مع الحجاب وكأنه خيار شخصي أو أمر ثانوي. إنه أمر إلهي واضح وصريح، لا يحتمل التأويل ولا المساومة. هذه الآية تضعنا أمام حقيقة صارخة: ليس هناك مجال للاختيار عندما يأتي الأمر من الله.

فكيف نجرؤ بعد هذا على اعتبار الحجاب خياراً شخصياً أو موضة متغيرة؟

في حديث شريف يبين النبي صلى الله عليه وسلم أن "المرأة عورة"، وهذا الوصف ليس انتقاصاً من شأنها، بل هو تأكيد على مكانتها وقيمتها. ألا ترين كيف تحفظ الجواهر في الصناديق، بينما تترك الحجارة في الطرقات؟ إن الجوهرة الثمينة تُحفظ في صندوق مغلق، بينما تُترك الحجارة في العراء. أليست المرأة بأسمى من أن تكون عرضة للأعين المتلصصة والألسنة الخبيثة؟ المرأة في الإسلام جوهرة مصونة، والحجاب هو الصندوق الذي يحفظ هذه الجوهرة.

لكن الحجاب ليس مجرد غطاء للرأس. إنه نظام متكامل يشمل اللباس والسلوك والنية. إنني أرى كثيرات يلبسن الحجاب بأجسادهن لكنهن نزعنَه عن قلوبهن. يغطين شعورهن لكنهن يكشفن مفاتنهن بكل جرأة. أليس هذا تناقضاً صارخاً؟ كم هو محزن أن نرى من تضع الحجاب ثم تخلع الحياء، من تستر شعرها ثم تكشف مفاتنها، من تلتزم بالشكل وتهمل الجوهر. إن الحجاب الحقيقي يبدأ من الداخل، من حياء القلب وخشية الله، قبل أن يكون قطعة قماش. إنه **حجاب القلب** قبل حجاب الجسد، **حياء النفس** قبل حياء المظهر.

لقد رأيت بعينيّ فتيات كنّ يعتبرن الحجاب قيداً، ثم تحول في نظرهن إلى حرية. حرية من عبودية الموضة، حرية من رقابة المجتمع، حرية من استعباد الأهواء. كيف حدث ذلك؟

عندما انتقل من كونه عادة اجتماعية إلى كونه عبادة خالصة لله. إنها معجزة الإيمان التي تحوّل الواجب إلى محبة، والعبودية إلى حرية حقيقية. عندما فهمن أن كل خطوة في طريق الطاعة هي خطوة نحو الحرية الحقيقية، حرية القلب من عبودية الأهواء والمظاهر.

في زمن كثرت فيه الفتن واختلطت فيه المفاهيم، أصبح الحجاب شهادة حية على إيمان المرأة المسلمة. تخيلي معي أختي القارئة أن الحجاب هو جسر بينك وبين الله. كلما مشيت عليه بإخلاص، ازداد قوة وثباتاً. وكلما أهملته، بدأ يتآكل حتى يكاد ينهار. هو إعلان صامت بأنها تختار طريق الله على طريق الشهوات، طريق العفة على طريق التبرج، طريق القيم على طريق الموضة العابرة. إنه ليس مجرد اختبار للطاعة، بل هو وسيلة للحماية والتحرر في آن واحد.

الفصل الثالث:

الحجاب – مفهومه وشروطه في الإسلام

في خضم الضبابية التي تحيط بمفهوم الحجاب اليوم، حيث يختلط الفرض الإلهي بالموضة العصرية، وتتداخل العادات مع العبادات، نجد أنفسنا أمام حاجة ملحة لاستعادة المفهوم الأصلي للحجاب كما جاء في الإسلام. فالحجاب في اللغة : الساتر، وفي الشرع: كل ما يحول بين الشيء وأذى الآخرين. إنه ليس مجرد غطاء للرأس، وليس زياً تقليدياً، وليس موضة عابرة. إنه نظام إلهي متكامل يحفظ كرامة المرأة ويصون مجتمعاً بأكمله، وهو فرض لا خيار فيه كما أجمع العلماء.

الحجاب في الإسلام ليس مجرد قطعة قماش توضع على الرأس، بل هو نظام إيماني متكامل له شروط واضحة تجعله حجاباً شرعياً مقبولاً:

أولاً: يجب أن يكون ساتراً لجميع البدن، ثانياً: أن يكون فضفاضاً غير ضيق فلا يصف مفاتن الجسد، ثالثاً: أن يكون ثخيناً غير شفاف فلا يظهر ما تحته، رابعاً: ألا يكون زينة في ذاته فلا يحتوي زخارف أو ألواناً صارخة، خامساً: ألا يكون معطراً عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم : «**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية**»، سادساً: ألا يشبه لباس الكافرات أو الرجال أو الفاسقات، لأن التشبه بهن فيه مخالفة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» ، سابعاً: أن

يصاحبه حياء في القلب وخوف من الله، لأن الحجاب الحقيقي هو ثمرة الإيمان قبل أن يكون غطاءً للرأس، ثامناً: ألا يكون لباس شهرة. وهو اللباس الذي يُقصد به التميز والظهور، سواء بسبب لونه أو شكله أو غرابته. والميزان في ذلك هو العُرف؛ فما يُلفت النظر في بيئة معينة يُعد من الشهرة، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك. مثال: في بلد السعودية، اعتادت النساء لبس الحجاب الأسود الفضفاض، فمن ترتدي ألواناً فاقعة أو لباساً ملفتاً، تُعد لابسةً لباس شهرة، حتى لو كان ساترا.

وقد يجدر التنبيه هنا إلى أن هذه الشروط لا تنطبق على السراويل، مهما كانت واسعة، إذ الأصل في لباس المرأة أن يكون جلباباً فضفاضاً. أما السراويل فليست من زي النساء في عهد النبوة، وهي تبرز تقاسيم الجسد بطبيعتها، خصوصاً في المشي والجلوس، وقد عدّها العلماء من لباس الرجال، أو مما يصف حجم العورة، فتكون بذلك مخالفةً لحقيقة الحجاب كما بيّنه السلف.

هذا التعريف الذي قد يبدو للبعض صارماً، هو في حقيقته نظام حماية ورعاية. فهذه الشروط الثمانية عندما تتكامل، تصنع للمرأة ستاراً من الوقار، وتجعلها كاللؤلؤة المصونة في صدفها، تحقق الغاية الشرعية من الحجاب في صيانة المرأة والمجتمع، وتكون قد امتثلت قول الله تعالى: **{ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ}**. تخيلوا لو أن كل امرأة التزمت بهذا النظام، لأصبح المجتمع كله محصناً ضد الفتن، قائماً على الاحترام المتبادل لا على الاستثارة والافتتان. فالستر في الإسلام ليس قيدًا، بل هو درعٌ يحمي كرامة المرأة.

لكن ما نراه اليوم للأسف هو أشكال من "الحجاب" تتناقض مع ما فُرِض. حجاب يغطي الشعر لكنه يبرز مفاتن الجسد. حجاب يغطي الشعر لكنه يكشف العنق والأذنين. حجاب أسود لكنه يعلوه المكياج الفاقع. أليس هذا تناقضاً ؟ أليس هذا تحايلاً على الشرع بدلاً من امتثاله؟

ووصف النبي صلى الله عليه وسلم هذه المظاهر بوضوح لا لبس فيه، فقال: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: ...وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا**» (رواه مسلم). والكاسيات العاريات -كما فسره الألباني هن اللاتي يلبسن ثياباً لا تستر جسدًا، أو تكون ضيقةً تصف العورة، أو شفافةً تكشف ما تحتها.

أصبح البعض اليوم يُطلق على الحجاب "الحجاب الشرعي"، وكأن هناك نوعًا آخر من الحجاب غير شرعي، وهذه التسمية غير دقيقة. فالحجاب في الإسلام هو مفهوم واحد وواضح، وهو الستر الكامل للمرأة وفقًا لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولا يحتاج إلى إضافة كلمة "شرعي" لتوضيح أمره. إن الحجاب الذي فرضه الله ليس مجرد لباس، بل هو نظام إيماني كامل يتضمن الوقار والحياء، وبالتالي فإن استخدام مصطلح "الحجاب الشرعي" يُفهم على أنه تمييز بين الحجاب الصحيح وغيره، وهذا ما لا يجب أن يكون. الحجاب هو الحجاب في الإسلام، ولا داعي لهذه التسمية التي تروج لتفريق غير موجود.

مع انتشار "الموضة الإسلامية" في وقتنا الحالي، والتي تخلط بين الحلال والحرام، أصبح الحجاب أحيانًا مجرد شعار خارجي بلا روح. وهنا يذكر ابن القيم تحذيرًا صادمًا:

"من أعظم حيل الشيطان أن يزيّن للمرأة التبرج تحت اسم الحشمة، فتلبس ثياب العفاف وهي في جوهرها عارية!"

فالحجاب الحقيقي يبدأ من الداخل، من حياء القلب وخوف الله **"فلا قيمة لحجاب الجسد إذا كان القلب عاريًا من التقوى"**.
والمرأة المحجبة بحق هي التي إذا رأيتها شعرت بالوقار لا بالفتنة، لأنها فهمت قول الله تعالى: **{ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ}** [الأحزاب: 59].

الفصل الرابع:

الحياء والعفة في القرآن وأثرهما في حياة المرأة

الحياء ليس مجرد خجل عابر، بل هو نور يضيء قلب المؤمنة، يجعلها تبتعد من القبيح، وتستحي من الله قبل الناس. هذا الخلق الكريم هو سر سعادتك وقوة شخصيتك. إنه ليس ضعفاً كما يصوره البعض، بل هو قوة داخلية تمنعك من الانزلاق في مهاوي الرذيلة.

العفة ليست قيداً يحد من حريتك، بل هي جناحان يحلقان بك في سماء الطهارة. عندما تقرئين قوله تعالى: **"وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله"**، تدركين أن العفة كنز ثمين يحفظ كرامتك ويصون قلبك. كم من فتيات ظنن أن التحرر في التبرج، فإذا بهن يصبحن سلعاً رخيصة، بينما الحجاب والعفاف تاج فوق رؤوس المؤمنات.

تأملي قصة يوسف عليه السلام، ذلك الشاب الذي واجه أعتى الفتن، فما انهزم ولا تزعزع. قال **"معاذ الله"** فكانت كلمة حق أمام سلطان بطش. ألا ترين في موقفه درساً بليغاً؟ إن الفتنة لا تقع على المرأة وحدها، بل هي مسؤولية مشتركة، لكن حياءك وعفتك هما حصنك الحصين.

وانظري إلى مريم ابنة عمران عليها السلام ، تلك العذراء الطاهرة التي أصبحت مثلاً يُضرب للعفة على مر العصور. حين قال عنها القرآن: **"وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا"**، لم يكن الحديث عن

جسدها فقط، بل عن كيانها كله. حياءها كان تاجاً على رأسها، وعفتها نوراً يهديها.

في زمننا هذا، حيث أصبح التبرج موضة، والفحش حرية شخصية، تبرز الحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى التمسك بخلق الحياء والعفة. لا تظني أنك متخلفة لأنك تتحجبين، بل أنت الأرقى والأسمى.

الحياء الحقيقي يبدأ من قلبك، من تلك اللحظة التي تستحين فيها من نظر الله إليك وأنت على معصية. هو ذلك الصوت الخفي الذي يهمس في أذنك عندما توشكين على تجاوز الحدود: "اتقي الله". أما العفة فهي ذلك الحاجز المنيع الذي يحميك من أن تُعاملي كسلعة في سوقٍ تمتلئ فيه العيون المتطفلة.

واعلمي يا أُختِي أن الحياء والعفة ليسوا مجرد شعارات ترفعينها، بل هما منهج حياة. هما طريقك إلى كرامة لا تهتز، واحترام لا يتزعزع، وسعادة لا تنتهي. فكوني كما أرادك الله: امرأة تستحي من ربها، فتحيي بحيائها وعفتها قلوباً أغفلت عن ذكر الله.

الفصل الخامس:

عندما يُحارب الحياء

في عالمنا اليوم، أصبح الحياء كالغريب الذي يتنقل بين الناس بحذر، يبحث عن مكان آمن بين القلوب. نعيش في زمن تحولت فيه القيم رأسًا على عقب، حيث يُنظر إلى المحتشمين على أنهم ضعفاء، وإلى المتبرجات على أنهن شجاعات. هذه ليست حرية كما يزعمون، بل هي عبودية جديدة، عبودية لآراء الناس ولأهواء النفس. والأمر الأكثر إيلامًا أن بعض الفتيات يسعينَ لتغيير خلق الله نفسه، كأنهن يرفضن هبة الرحمن، ويستبدلنها بمعايير بشرية قابلة للزوال بين ليلة وضحاها.

وسائل الإعلام اليوم تروج لأكذوبة كبرى مزدوجة: أن السعادة في التحرر من الحياء، والجمال في تشويه الفطرة. كل إعلان تجميل، كل صورة مشوهة بالفلتر، كل مقارنة غير عادلة، هي طلقات تُطلق على براءة القلب. تظن الفتاة أنها "تحسّن من نفسها" بينما هي في الحقيقة تهدم أعظم ميراث إنساني – الرضا بخلقة الله. ألم يقل تعالى: **{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}**؟ فلماذا نستبدل هذا الإتقان الإلهي بتجارب بشرية ناقصة؟

النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"الحياء لا يأتي إلا بخير"**. لكن كيف يأتي الخير من حياءٍ مزيفٍ نرفض معه وجهنا الحقيقي لنصنع آخر مزيفًا؟ الحياء الحقيقي يبدأ من قبول النعمة كما منحها الله،

لا كما يفرضها السوق. إنه ذلك الصوت الخفي الذي يهمس: **"كفى بجمالك فخرًا أنه من صنع الله، فلا تستبدليه بصنع البشر"**.

في زمن صار التجميل فيه عبادة جديدة، والفلترات سجادة صلاتها، نحتاج أن نتذكر أن الحياء ليس ثوبًا نلبسه فوق الجسد، بل هو نور ينبع من داخل الروح. فتاة الأمس كانت تخجل من إظهار شعرها وجسدها، وفتاة اليوم تخجل من إظهار وجهها بدون فلتر! أليس هذا انقلابًا مخيفًا في مفهوم الحياء نفسه؟

لنكن صادقات: عندما تنتظر الفتاة دورها في عيادة التجميل، وتدفع آلاف الدولارات لتُغير ما خلقه الله، بينما يمكنها أن تنفق هذا المال في علم ينفع أو صدقة ترفع، أليست هذه صورة من صور الخضوع لأوهام العصر؟ أين ذهب ذلك الحياء الذي كان يمنعنا حتى من مجرد التفكير في العبث بخلقة الله؟

في النهاية، الجمال الحقيقي ليس في تناسق الملامح، بل في تناسق القلب مع فطرة الله. ليست المشكلة في أنفٍ يحتاج تعديلاً، بل في نظرتنا التي تحتاج إصلاحًا. الفتاة الذكية هي التي تعلم أن رضا الله أغلى من إعجاب المتابعين، وأن جمال الروح أبقى من جمال الجسد.

تذكري يا أختاه: كلما زاد حياؤكِ من الله، قلّت حاجتكِ لتعديل خلقه. وكلما ارتضيتِ بما منحكِ الرحمن، اكتشفتِ أنكِ تملكين جوهرة لا يدرك قيمتها إلا من عرف حقيقة الجمال. فاحفظي هذه الهدية الإلهية، واجعلي حياتكِ كلها حياءً يرضى عنه الرب، لا تشويهًا يرضي العبيد.

الفصل السادس :

أثر الحجاب في قلب الفتاة

عندما تختارين الحجاب يا صديقتي، فأنتِ لا تضعين قطعة قماش على رأسكِ فقط، بل تفتحين صفحة جديدة في حياتكِ. سترين التغيير يبدأ من داخلكِ أولاً، ثم يظهر على كل شيء حولكِ. دعيني أخبركِ كيف سيحول الحجاب حياتكِ إلى الأجمل:

ستشعرين منذ الأيام الأولى بأن شيئاً جميلاً قد تغير فيكِ. نظرات الناس لكِ ستختلف، ستحترمكِ أكثر، حتى أولئك الذين لا يعرفون قيمة الحجاب. سينظرون إليكِ على أنكِ فتاة ذات مبادئ وقيم، وستجدين الفرص الجيدة تأتيكِ من حيث لا تحتسبين.

قلبكِ سيصبح أكثر رقة ونقاءً. ستشعرين بطمأنينة غريبة لم تعرفيها من قبل، كأن هناك نوراً جديداً في حياتكِ. صلاتكِ ستكون أكثر خشوعاً، ودعاؤكِ أكثر إجابة، لأنكِ اخترتِ طريق الطاعة بكل رضى.

ستلاحظين أن علاقتكِ مع الله أصبحت أقوى. الناس سيثقون بكِ أكثر. في الجامعة أو العمل، سيرون فيكِ الشخصية الجديرة بالاحترام. المعلمون سيقدّرون اجتهادكِ، والمسؤولون سيثقون بأمانتكِ، والصديقات سيعرفن أنكِ كنز لا يُستبدل.

ستصبحين أكثر قوة في مواجهة ضغوط الحياة. المشاكل التي كانت تُقلقكِ سترينها بشكل مختلف، لأن الحجاب سيعطيكِ قوة داخلية لا تعرفين مصدرها إلا أنه من بركات هذا القرار.

الحجاب لا يخفي جمالكِ، بل يحفظه. فهو يغطي زينة مظهركِ ليحميكِ، ويُبرز للناس جمال روحكِ وأخلاقكِ وحياءكِ. أنوثتكِ ورقتكِ وجمالكِ الحقيقي ستبقى محفوظة، لأنكِ أرفع من أن تظهري زينتكِ لكل عابر. أنتِ تتجملين وتعتزين بجمالكِ، لكن لمن يعرف قيمتكِ ويستحق أن يرى هذا الجمال المصون. والله سبحانه ما أمركِ بالحجاب إلا ليكرمكِ، ويجعلكِ غالية محفوظة، لا بضاعة معروضة.

علاقتكِ مع عائلتكِ ستتحسن. سيرون فيكِ الفتاة الناضجة التي تستحق الثقة والاحترام. والديكِ سيفخران بكِ أكثر، وإخوتكِ سيرون فيكِ المثال الأعلى.

في المستقبل، حين تجدين زوجاً صالحاً، سيعرف قيمتكِ الحقيقية. سيبحث عن الفتاة المتحجبة العفيفة، لأنها ستكون الزوجة المخلصة، والأم الحنونة، والصديقة الوفية.

كل هذه التغييرات الجميلة تبدأ بقرار واحد: نية صادقة في قلبكِ أن تلتزمي بحجابكِ لله تعالى. لا تترددي يا صديقتي، فوالله لن تخسري شيئاً، بل ستربحين كل شيء. الحجاب هو بداية الطريق

إلى كل خير، وهو المفتاح الذي سيفتح لكِ أبواب السعادة في الدنيا والآخرة.

تذكري دائماً: عندما تختارين الله، يختاركِ. عندما تقدمين شيئاً لله، يعطيكِ الله أفضل منه. الحجاب هو هدية الله لكِ، فاقبليها بقلب مفتوح، وستجدينها أجمل ما في حياتكِ.

الفصل الأخير :

نداء الى أختي المسلمة

أختي الحبيبة...

كم مرة قرأتِ عن الحجاب والعفاف، ثم أغلقتِ الصفحة وكأن شيئًا لم يكن؟

كم مرة اهتزّ قلبك لآية أو حديث، ثم جفّت دمعتك، وعادت الحياة كما كانت؟

كم مرة وعدتِ نفسك، قلتِ: "سأبدأ غدًا"، ثم لم يأتِ الغد أبدًا؟

أكتب إليكِ الآن لا لأعاتبك، بل لأوقظك. بكلماتٍ ممزوجةٍ بألم الخوف عليكِ، وبأمل اللقاء في الجنة.

أكتب لأنكِ أثمن من أن تُختزل قيمتكِ في مظهركِ، أو تُسلب هويتكِ باسم حرية زائفة.

الحجاب يا أختي ليس مجرد قماش يُغطّي الجسد، بل عهد بينكِ وبين الله.

هو راية تقول: **"يا رب، اخترتُ رضاك، واخترتُ طاعتك"**.

واعلمي **أن الحجاب ليس مجرد درجة من درجات الجنة**، بل هو مسألة **جنة** أو **نار**، **طاعة** أو **معصية** ، **إقبال** أو **إعراض**.

فلا تستهيني به، ولا تجعلي قرارك مؤجلاً، فإن الجنة لا تُنال بالتردد، والنار لا تُطفئها الأعذار.

ما الذي يمنعك؟

هل هو كلام الناس؟ هل هي الأناقة؟ أم وهم الغد الطويل؟

من يضمن لكِ اللحظة القادمة؟

أختي، لا تقولي "قلبي نظيف"، **فالقلوب النظيفة لا تعصي الله.**

ولا تقولي "سأتغير لاحقًا"، فإن التأجيل ليس إلا خدعة شيطانٍ خفيّة.

ربما تقولين: "والدتي أو والدي يمنعني من ارتداء الحجاب، كيف يمكنني أن أرفضهم؟" ، أو أنكِ مازلت في سن الشباب.

دعيني أخبركِ: هذه الأعذار كلها **فارغة !!**

لا شيء يمنعكِ عن طاعة الله سوى **نفسكِ**. ولا شيء في هذه الدنيا يستحق أن يكون عائقًا بينكِ وبين الله. الحجاب ليس مجرد قطعة قماش، بل هو علامة الإيمان، وهو أول خطوة نحو قربكِ من الله. لا تظني أن غدًا سيأتي، فربما يمر العمر ونحن نؤجل، ولا نعلم أن الفرصة قد انتهت.

هل سيستمر تأجيلكِ حتى يُقال: **"كانت تتمنى لو عادت يوماً فتعمل صالحاً"؟**

هل ستنتظرين حتى يأتي الموت وأنتِ في حالة تردد؟

الدنيا فانية، و**الموت** لا ينتظر. هل ستحرمين نفسكِ من رضا الله بسبب خوفكِ من كلام الناس أو بسبب حجة الوالدين؟

آسية زوجة فرعون، كانت تعيش في قصر أعتى الطغاة، زوجة فرعون نفسه، ومع ذلك اختارت الإيمان بالله على كل شيء.

وقالت: **"رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"**، رغم كل ما كان يحيط بها من مغريات ومكانة عالية، اختارت الله.

أنتِ أيضًا قادرة على أن تختاري الله، بغض النظر عن الظروف.

أما إذا كان والدكِ أو والدتكِ يعارضان ارتداء الحجاب، فلا تنسي أن أمر **الله تعالى أولى بالطاعة**. البر بالوالدين أمر عظيم، ولكن طاعة الله أولى. يمكنكِ أن تحترمي والديكِ، ولكن لا تسمحي لرفضهم أن يكون حاجزًا بينكِ وبين طاعة الله. تذكري قوله تعالى:

{وَقَضى رَبُّكَ أَلّا تَعبُدوا إِلّا إِيّاهُ وَبِالوالِدَينِ إِحسانًا} [الإسراء: 23]، ولكن الإحسان لا يعني التنازل عن **فرض** الله عليكِ.

ابدئي اليوم، بخطوة صادقة، بحجابٍ نابع من القلب، بتوبةٍ خاشعة، بنيةٍ خالصة.

انظري لمن هم خلفكِ، واحمدي الله، واصعدي درج الالتزام بثبات.

لا تنظري لمن سبقوكِ فتحزني، بل اجعليهم قدوة ورفقة.

وتذكّري لا يوجد شيء في هذه الدنيا يستحق أن تتنازلي عن حيائكِ أو حجابكِ من أجله.

لا وظيفة، لا زواج، لا صداقة، لا مجاملة...

لأن ما عند الله، خير وأبقى.

أختي الغالية... يا من تحملين في صدرك قلبًا طاهرًا...

يا من ما زال في عينيكِ بريق الإيمان رغم كل العواصف...

هل تسمحين لي أن أخاطبكِ ليس بلسان كاتبة، ولكن بلسان أختٍ تخشى عليكِ نارًا تلظّى، وتتمنى لكِ جنةً عرضها السماوات والأرض؟

إنني أكتب إليكِ والقلب يعتصره ألمٌ وحبٌ وشوق...

ألمٌ لأني أعرف المعركة التي تدور داخلكِ...

وحبٌ لأنكِ جزءٌ مني، وأنا جزءٌ منكِ...

وشوقٌ لأن أراكِ في حُلة التقوى والطهارة التي تليق بمكانتكِ عند الله.

تذكّري معي تلك اللحظات التي كنتِ فيها وحدكِ مع ربكِ...

لحظات السجود في جوف الليل...

تلك الدموع التي سالت على خديكِ عندما استشعرتِ عظمة الله...

أليس هذا هو أنتِ الحقيقية؟

أليست هذه هي الفتاة التي تريدين أن تكونيها؟

أتعلمين لماذا تشعرين بهذا الصراع الداخلي؟

لأن الله كتب في قلبكِ الإيمان، وجعل في فطرتكِ الحياء...

إنه نداء الفطرة الذي ما زال يتردد في أعماقكِ رغم كل محاولات إسكاته.

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}[الروم :30]

لن أناديكِ بالعاطفة فقط...

ولكني سأناديكِ بالحق الذي لا ريب فيه:

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} [الأحزاب :36]

الحجاب **ليس خيارًا** يا غالية...

لا يوجد **اقتناع** في الموضوع...

إنه **أمرٌ** من ملك الملوك...

من خالق السماوات والأرض...

من الذي خلقكِ فأحسن خلقكِ...

من الذي منحكِ هذه الروح الطاهرة...

فهل ستختارين عصيانه من أجل إعجابٍ عابر؟

من أجل نظراتٍ تذهب، ولا تترك في القلب إلا الظلمة؟

أختي الحبيبة...

أنا أعرف ما في قلبكِ...

أعرف أنكِ تريدين طريق الله...

لكن الدنيا تخدعكِ بزينتها...

لكن الشيطان يوسوس لكِ...

لكن الناس تخيفكِ...

لكن... ولكن...

أليس الله أحق أن يُطاع؟

أليس الله أحق أن يُخشى؟

قال تعالى : **{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}** [المُلك :14]

اليوم... في هذه اللحظة بالذات...

الله يمنحكِ فرصة لن تتكرر...

فرصة لأن تكوني من: **{الْقَانِتَاتِ الْحَافِظَاتِ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}** [النساء :34]

لن أتركِكِ تذهبين دون خطة عملية.

إليكِ طريق العودة :

1. **أغلقي عينيكِ الآن**... وتخيلي أن هذه آخر لحظة في حياتكِ، ماذا تتمنين لو استطعتِ أن تغيري فيها؟

2. **اقطعي علاقتكِ بالمعصية فورًا**... لا تنتظري الظروف المثالية، فالتوبة لا تحتاج إلى تأشيرة.

3. **أزيلي من خزانتكِ كل ما يُغضب الله**... واشعري بالحرية الحقيقية التي تأتي من طاعة الرحمن.

4. **تواصلي مع صديقات الخير**... فالجمرة الواحدة تنطفئ، ولكن الجمرات المتجمعة تشتعل.

5. **اجعلي هذا الفصل دليلكِ اليومي**... اقرئيه كلما أحسستِ بضعف، واذكري الله كثيرًا.

6. **لا تنظري إلى البعيد**... كل ما عليكِ هو اليوم فقط، غدًا سيكون له رزقه.

7. **كوني كالشمعة**... تضيء لنفسكِ أولًا، ثم لمن حولكِ. واعلمي أن كل خطوة نحو الله، يقابلها الله بعشر خطوات :

{فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [التوبة :120]

8. **أكثري من الدعاء لنفسكِ بالهداية والثبات والصلاح**، وألحي على الله بالدعاء بدخول الجنة. فالدعاء مفتاح الخير كله، والله تعالى وعد بالإجابة فقال :**{ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }** [غافر: 60].

أختي...

عندما تغلقين هذا الكتاب...

ستكونين أمام مفترق طرق:

إما أن تختاري الله... فتفوزي برضاه وجنته.

أو أن تختاري الدنيا... فتفقدي كل شيء.

الخيار لكِ...

ولكن تذكّري قول الله تعالى:

{وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ} [النجم :39]

الدعاء

اللهم يا رب...

يا واسع الرحمة، يا من تهدي القلوب بعد غفلتها...

اهدِ بناتنا، و ازرع في قلوبهنّ الحياء، والعفاف، والطهر، وحب الطاعة.

اللهم اجعل الحجاب في أعينهنّ وقارًا، وفي قلوبهنّ حبًا، وفي حياتهنّ نُورًا.

اللهم ارزقهنّ الثبات والصحبة الصالحة، والزوج الصالح، والذرية الطيبة.

اللهم اجعلنا جميعًا ممن تقول لهم الملائكة يوم القيامة:

"سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار."

اللهم ارزقنا وإياهنّ الفردوس الأعلى، واجعلنا في ظلّك يوم لا ظل إلا ظلك، واجعل آخر كلامنا في هذه الدنيا:

"رضيتُ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولًا."

06/05

حين تموتين... سيُغطّى جسدكِ بالكامل، لن يُترك موضعٌ مكشوف، سيُفرض عليكِ الستر الذي ترددتِ فيه حيّة.

فهلّا سترتِ نفسكِ بملء إرادتكِ وطاعةً لربكِ... قبل أن يُفرض عليكِ حين لا خيار لكِ؟

نـهايـة الكتـاب...

الفهرس :

نبذة عن المؤلفة.....4
مقدمة: همسة إلى قلبكِ يا ابنة الإسلام.....6
الفصل الأول: الحجاب حين نزل من السماء.....10
الفصل الثاني: الحجاب عبادة لا عادة.....14
الفصل الثالث: الحجاب: مفهومه وشروطه في الإسلام.....18
الفصل الرابع: الحياء والعفة في القرآن وأثرهما في حياة المرأة.22
الفصل الخامس: عندما يُحارب الحياء.....25
الفصل السادس: أثر الحجاب في قلب الفتاة.....29
الفصل الأخير: نداء إلى أختي المسلمة.....32